ابن المقفع

ذكاء المرء

محسوب عليه

ابن المقفع

ذكاء المرء محسوب عليه

الذكاء نافع للإنسان مفيد له ، به ينبغ ، وبه يرتقي ، وبه يسود ، وأحيانا يكون محسوبا عليه ضار به ، وهذا ما تخبرنا به حية ابن المقفع وسيرته . فلنتجول في سيرته الذاتية لنعرف كيف أضر به ذكاؤه :

هو أبو محمّد عبد الله ، الذي مي بالفارسية : (روزبه بن دازويه) ، قبل أن يعتنق الإسلام، ولد عام ١٠٦ هـ ، وعاصر كلاً من الخلافة الأموية والعباسية.

ولقب أبوه بالمقفع ، وسبب التسمية بهذا الاسم (المقفع) أن الحجاج بن يوسف الثقفي استعمله على خراج يجمعه ، فامتدت إليه يده فعاقبه بالضرب على يديه حتى تقفعتا (أي تورمتا وأُعوجت أصابعهما ثم شُلتا).

درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء، جمع بين الثقافة العربية والفارسية واليونانية والهندية، فنال من كل هذه الثقافات نصيبًا وافرًا من الفصاحة والبلاغة والأدب، تلاحظها إذا تصفّحتَ مؤلفًا من مؤلفاته، فتنهال عليك الحكمة من بين الأسطر، وتنعم بالأُسلوب السلس، والذوق الرفيع

صفاته :

اشتهر (عبد الله بن المقفع) بذكائه وكرمه وأخلاقه الحميدة ، ونلمح ذلك في كتاباته ، وعلاقاته الاجتماعية وحبه للأصدقاء فقد قال:"ابذل لصديقك دمك ومالك" ، ولما سئل : من أدبك ؟ قال : "كنت إذا رأيت من غيري حسنًا آتيه، وإن رأيت قبيحا أبَيْته".

اتهمه حساده بفساد دينه، وربما كان الاتهام واحد من أسباب مقتله ولا نجد في شيء من كتاباته ما يؤكد صدق هذا الاتهام.

كان ودودًا ، صادقا ، حافظا للجميل ، يدل على ذلك قوله :"إذا أسديت جميلاً إلى إنسان فحذار أن تذكره وإذا أسدى إنسان إليك جميلاً فحذار أن تنساه "

مؤلفاته :

أهدى ابن المقفع إلى المكتبة العربية كثيرًا من التأليف والتصانيف العظيمة النفع فقد نقل من البهلوية إلى العربية كليلة ودمنة. وله في الكتب المنقولة الأدب الصغير والأدب الكبير.

يتحدث في الأدب الكبير عن السلطان وعلاقته بالرعية وعلاقة الرعية به .

(من الموضوعات التي وردت في كتاب الأدب الكبير)

أداء الأعمال

إذا تراكمت عليك الأعمال، فلا تلتمس الرَّوْحَ في مدافعتها يوم بيوم والروغان منها فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها ، والفراغ منها ، واعلم أن الصبر عليها هو الذي يخففها عنك ، والضجر هو الذي يراكمها عليك ، فتعهد من ذلك في نفسك خصلة رأيتها تعتري بعض أصحاب الأعمال وذلك أن الرجل يكون في أمر أموره فيرد عليه شغل آخر أو يأتيه شاغل من الناس يكره إيتاءه ، فيكدر ذلك بنفسه تكديرا يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم واحدا منها ، فإذا ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك وعقلك اللذان تختار بهما الأمور، ثم اختر أولي الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا يعظمن عليك فوت ما فات ولا تأخير ما تأخر.....:)

ومن أقواله في الأدب الكبير:

اعلم أن المستشار ليس بكفيل، وأن الرأي ليس بمضمون، بل الرأيُ كله غررٌ لأن أمور الدنيا ليس شيءٌ منها بثقة، ولأنه ليس من أمرها شيءٌ يدركه الحازمُ إلا وقد يدركهُ العاجزُ، بل ربما أعيى الحزْمَةَ ما أمكن العَجَزةَ. فإذا أشار عليك صاحبك برأي، ثم لم تجد عاقبته على ما كنتَ تأملُ فلا تجعل ذلك عليه ذنبًا ولا تلزمه لؤمًا وعذلاً بأن تقول: أنت فعلتَ هذا بي، وأنت أمرتني، ولولا أنت لم أفعل، ولا جرمَ لا أطيعك في شيء بعدها، فإن هذا كلهُ ضجرٌ ولؤمٌ وخفةٌ.

فإن كنت أنت المشير، فعمل برأيك أو تركَه، فبدا صوابك، فلا تَمنن به ولا تكثرنّ ذكره إن كان فيه نجاحٌ، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضررٌ بأن تقول: ألم أقل لك افعل هذا؟! فإن هذا مُجانبٌ لأدب الحكماء.

ومن قوله :

إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوبُ فانظر أيهُما أقربُ إلى هواك فخالفه فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى.

وليجتمع في قلبك الافتقارُ إلى الناس والاستغناء عنهم، وليكن افتقارك إليهم في لين كلمتك لهم، وحسن بشرك بهم. وليكن استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك.

وقوله :

اعلم أن لسانك أداةٌ مُصلتةٌ، يتغالبُ عليه عقلُك وغضبُك وهواك وجهلك. فكُل غالبٍ مستمتعٌ به، وصارفه في محبته. فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيءٌ من أشباه ما سميتُ لك فهو لعدوك. فإن استطعتَ أن تحتفظ به وتطّونهُ فلا يكونَ إلا لك، ولا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوك، فافعل.

وقوله أيضا :

إذا أنابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليتَ معه: إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتملُ العارَ. فالتمس المخرجَ عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ما سواها.

فإن نزلت الجائحةُ التي تأبى نفسك مشاركةَ أخيك فيها فأجمل، فلعلّ الإجمال يسعك، لقلة الإجمال في الناس.

وإذا أصاب أخاك فضلٌ فإنه ليس في دنوك منه، وابتغائك مودته، وتواضعك له مذلةٌ. فاغتنم ذلك، واعمل به.

ويتحدث في الأدب الصغير حول تهذيب النفس وترويضها على الأعمال الصالحة.

من أقواله في الأدب الصغير:

إذا هممت بخيرٍ فبادر هواك لا يغلبك، وإذا هممت بشرٍّ فسوِّف هواك لعلك تظفر، فإنّ ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنمُ.

ومنه قوله :

لا يمنعنك صغرُ شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأيه صوابًا، والاصطفاء لما رأيتَ من أخلاقه كريمًا، فإنّ اللؤلؤة الفائقة لا تهانُ لهوانِ غائصها الذي استخرجها.

وقوله:

رأسُ الذنوب الكذبُ ؛ فهو يؤسسُها ويتفقدها ويثبتها، ويتلونُ ثلاثة ألوان: بالأمنية، والجحود، والجدل، فيبدو لصاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزينُ له من الشهوات، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى . فإذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة، فإن أعياه ذلك ختم بالجدل، فخاصم عن الباطل، ووضع له الحجج والتمس به التثبت، وكابر به الحق حتى يكون مسارعًا للضلالة، ومكابرًا بالفواحش.

مؤلفاته:

- الدرة الثمينة والجوهرة المكنونة.
- أيين نامة - في عادات الفرس.
- التاج - في سيرة أنو شروان.
- أيساغوجي - المدخل.
- الأدب الصغير.
- الأدب الكبير.
- رسالة الصحابة.
- كليلة ودمنة (نقله عن الهندية)

من " رسالة الدرة اليتيمة "

يُضرَب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها، وهي رسالة في نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الآداب، يقول :

"ابذل لصديقك دمك، ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك، واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد.

إن سمعت من صاحبك كلاما أو رأيا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس، واكتف من التزين بأن تحتني الصواب إذا سمعته وتنسبه إلى صاحبه، واعلم أن انتحالك ذاك سخطة لصاحبك، وأن فيه مع ذلك عارًا، فإن بلغ ذلك بك أن تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء، وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس، ومن تمام حسن الخلق والأدب أن

تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب إليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت.

سبب مقتله:

في ظل الدولة العباسية اتصل ابن المقفّع بعيسى بن علي عم السفاح والمنصور واستمر يعمل في خدمته حتى قتله سفيان بن معاوية والي البصرة من قبل المنصور.

والأرجح أن سبب مقتله يعود إلى المبالغة في صيغة كتاب الأمان الذي وضعه ابن المقفع ليوقّع عليه أبو جعفر المنصور، أماناً لعبد الله بن عليّ عم المنصور. وكان ابن المقفع قد أفرط في الاحتياط عند كتابة هذا الميثاق بين الرجلين (عبد الله بن علي والمنصور) حتى لا يجد المنصور منفذاً للإخلال بعهده. ومما جاء في كتاب الأمان:

إذا أخلّ المنصور بشرط من شروط الأمان كانت "نساؤه طوالق، ودوابه حُبس، وكان الناس في حلّ من بيعته". مما أغاظ المنصور فقال: "أما من أحد يكفينيه"؟ وكان سفيان بن معاوية يبيّت لابن المقفع غضبا منه وغيظا ،لأن ابن المقفع – كما روي – كان يتهكم عليه ، فقد كان سفيان طويل الأنف ، فكان ابن المقفع كلما مر به يقول له : السلام عليكما ، فيسأله من معه : كيف يقول له السلام عليكما ، وهو وحده وليس معه أحد ؟ فيجيب ابن المقفع : هو وأنفه فانتهزها فرصة عندما طلب المنصور التخلص منه ، ولما حضر قيّده وأخذ يقطعه عضواً فعضواً ويرمي به في التنور ويكرهه على أكل جسده مشويًا حتى مات.

وعلى أية حال ؛ سواء أكان هذا سبب قتله أم شعور المنصور بتدخله في الشؤون السياسية أم أسباب أخرى فالملاحظ أن ذكاء ابن المقفع ، وما يتمتع به من تميز ، كان الدافع وراء مقتله تصديقا لمقولة أن ذكاء المرء محسوب عليه فقد أفرط في صياغة شروط عهد الأمان ، ولم يراع مكانة الخليفة ، وأقدار الرؤساء فأوغر صدور من حوله :الخليفة ، سفيان بن معاوية ، وغيرهما من المحيطين به وكان عليه أن يستخدم ذكاءه فيما يدعم مكانته فيستل ما في صدورهم من غضب وحسد ، لكنه أثار حفيظتهم فكان جزاؤه ما كان .